المنشرة ان العدوان حرام امتنع العدوان وكان ذلك افعل من كثرة الشرط والجنود

وأما الصنف الثاني في الذكر أعني المتعلمين للعلوم الاوربية فأكثرهم لا يمتازون عن العوام في علمهم وشعورهم بالدين ومنهم المارق منه ولكنهم أشد حرصا على السلطة من غيرهم ولا شيء ينفخ فيهم روح التعصب لها مثل وقوفهم على مطامع الاوربيين ، وسماعهم لاقوالهم في المسلمين ، فهم يميلون الى التعصب سياسة لا تدينا ولكن روح تساهل الاسلام غلب عليهم حتى لا يسلم منه المارق منهم ، وانني سمعت غير واحد من كبار رجال الحكومة ومعلميهم يقولون : انهم يتهموننا بالتعصب بالدين كان صحيحا : فليعلم الاوربيون ان أبعدنا عن التعصب أقربنا من الدين ، وأدناننا منه أجهلنا بالدين وأعرفنا بأعمال أوربا في علومهم ومدنيتهم لا سيما من ذاق حقيقتها منا فمثار التعصب أوربا لا الاسلام نفسه واذا ظلت أوربا على أنهاما والافتيات علينا في شؤوننا فيوشك أن يجيء يوم يكون فيه الشك يقينا وهو ما نسأل المدأن يقي البشر شره والافان في استطاعتها ان تجمع بين مصلحتها ومصلحتنا ولكن بعد استشارة أهل الرأي منا وعدنا من البشر الذين يشعرون ويعقلون ، ويسرون ويألمون ، وتد في خلقه شؤون ، وهو يعلم مالا نعلم ولا يعلمون ،

باب المناظرة والمراسلة

﴿ الرد على الشيخ بخيت ﴾

(٢ — وصفه الفونغراف)

قلنا في الانتقاد الوجيز الاول انه وصف الفونغراف وصف من لم يره ولم يعرف شيئا من علم مخترعيه فجاء في رسالة (رفع الوهم والاشتباه) يرد على قولنا بأنه وصفه بالمقدار الذي يتعلق به ما كان بصدده قال (كما في ص ٣٦) : وقد أخذنا وصفنا عن أهل الخبرة به وهو أيضا مطابق في النتيجة تمام المطابقة لما وصفه به المقتطف بالجزء التاسع من السنة الثانية : اه وكان نقل عبارة المقتطف في ص ٧ و ٨ و ٩ وهي مطابقة وصفه لوصف المقتطف في النتيجة اتفاقهما على ان الفونغراف آلة ناطقة !!

ألا هل من قارئ فيفهم ؟ الا هل من متفكر فيعجب ؟ ألا هل من عاقل منصف فيفقه كنه هذا المصنف ، انا انتقدنا عليه وصفه الفونغراف وهو الآلة الناطقة وصف من لم يره . نعني ان الوصف غير مطابق للموصوف . فاذا كان الانتقاد خاصا بما وصف به هذه الآلة الناطقة لا في تسميتها آلة ناطقة فكيف يرد علينا بأن المنتقد وصف وصفا آخر نتيجته انه آلة ناطقة ؟ أليس هذا اعترافا بأنه أخطأ في الوصف وانما أصبنا في الانتقاد عليه ؟ اذا وصف كاتبان الآلة الرافعة للاثقال فذكر أحدهما أجزاءها وكيفية تركيبها وطريقة رفعها للاثقل فأخطأ أحدهما في الوصف وأصاب الآخر مع اتفاقهما على كون الموصوف آلة رافعة ؛ فهل يصح الرد على من ينتقد وصف المخطئ بأنه — أي المخطئ — موافق للمصيب في كون الموصوف آلة رافعة ؟ واذا كان قوله انه موافق للمنتقد في كون الفونغراف آلة ناطقة فقط اعترافا بانه مخالف له في وصفها وانا مصيبون في انتقادنا فلماذا نقل عبارة المنتقد وهي حجة عليه ولا حاجة في اثبات كون الفونغراف آلة ناطقة الى ايرادها اذ لا نزاع في ذلك ؟ ولماذا قال انه أخذ وصفه عن أهل الخبرة ؟ أليس هذا اصرارا على دعوى الاصابة في الوصف ؟ كيف يجمع بين ما يقتضي الاعتراف بالخطاء وما يقتضي انكاره ، وكيف يرد ما هو حجة عليه على انه حجة له ، هل يسلم العاقل المنصف بأنه فهم ما كتب أم التأليف عنده وعند امثاله عبارة عن ايراد النقول ، وقال ونقول ، وان لم تصل ما يسمى دليلا بالمدلول ، ؟ سيعلم القارئ مما يأتي ما يدل مع ما نعلمه هنا على أنه كتب بغير فهم وان التأليف والمناظرة عنده عبارة عن مراجعة المسائل التي تراد من مظانها (أي من المواضع التي يظن انها توجد فيها من الكتب) وجمعها منها وكتابتها وربط بعضها ببعض بعبارات تدل على ان هذه النقول موافقة لما يدعي وان كانت في نفسها مخالفة له وحجة عليه

انما كان انتقادنا عليه بما أخطأ في وصف الفونغراف وفي قوله ان السائل الذي سأله مقيم في الاناضول في الروملي الشرقي بولاية سلانيك للتنبيه على أن العالم الديني يحتاج في هذا العصر الى الوقوف على العلوم والفنون المتداولة فيه ولو بطريق الاجمال الذي يعد صاحبه لمعرفة التفصيل عند الحاجة اليه فان المسائل

الشرعية تتعلق بأعمال الناس وصناعتهم ومعارفهم ومواقع بلادهم فاذا كان الفقيه يجهل ذلك تعذر أو تعسر عليه فهم كثير من المسائل التي يحتاجون الى معرفة حكم الشرع فيها وقد يتكلم أو يكتب في مسألة من هذه المسائل على جهل بموضوع السؤال فيعرض نفسه بل وصنفه للاحتقار والازدراء . ولم نبين هذا الغرض اعتمادا على اكتفاء اللبيب بالاشارة ولكنه لغروره بشهرته لم ينتبه للمراد وقام يرمينا بقلة الادب معه كما علم القارئ من الجزء الماضي

الا اننا لم نقصد تنبيهه وحده لما ذكر وانما اعترضنا خطأ أحد المشهورين من علماء الازهر بمعارضة الاصلاح وذم العلوم التي يسمونها العصرية لتنبيه جميع من على شاكلته الى الحاجة اليها وكون الجاهل بها عرضة للازدراء . واننا والله لم نكتب تلك العبارة الوجيزة الا بعد ان سمعنا الناس في بعض مجالسهم يضحكون من تينك المسألتين ويقولون في مؤلف الرسالتين مالا ينبغي أن يكتب

رأينا بعد تردد أنه لا حاجة الى ذكر عبارته في وصف الفونغراف وعبارة المقتطف التي قال انها موافقة لها في النتيجة وبيان الفرق بينهما لان هذا لا يفيد قراء المنار فدعه يعتقد أن الفونغراف صندوق وانه له مخارج كمخارج الحروف وهي تشبه حنجرة الانسان وان الغرض من ادارة الزنبلك ادخال الهواء في الصندوق لأجل ان يقرع ما يشبه الحنجرة ويكون الصوت وان ذلك الصندوق في مجموع اسطواناته يشبه الانسان في استعداده لان يصدر منه ويسمع منه كلام ، وان الفرق بينه وبين الانسان من وجهين أحدهما أن مخارج الانسان مستعدة وقابلة بعد التكلم وقبله كل كلام . . . ومخارج كل اسطوانة من اسطوانات الصندوق مستعدة وقابلة لان يتوارد عليها خصوص الكلمات التي تكلم بها المتكلم وثانيهما ان الانسان يتكلم بقصد وشعور والصندوق ليس كذلك !! دعه في اعتقاده هذا فانه لا بدع في خطاه اذا أخطأ في وصفه ولا غرابة في اصابته في بعضه بعد ما سمع من أهل الخبرة ما سمع وانما العبرة في استباحته الكلام فيما لا يعلم واصراره على الخطأ بعد العلم به ومحاولته ايهام الناس أنه أصاب . وهذه العبرة تكون أكمل في المسائل التي من شأن مثله ان يكون عارفا بها وهي ما يأتي بعد المسألة الجغرافية

﴿المسألة الجغرافية﴾

قال الشيخ بخيت في أول رسالة المسكورة : قد ورد علينا خطاب من بعض العلماء المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية يتضمن كذا الخ فاعتقدنا عليه ذلك وبينا له ان الاناطول ولايات في آسيا وان الروملي الشرقي غلب على ولاية من ولايات الدولة في أوربا دخلت في امارة البلغار وان سلانيك ولاية عاصمة من مكدونية لا تزال في حكم الدولة ، وتمنينا لو انه أطلع أحد أولاده الذين يتعلمون في المدارس على رسالة قبل طبعها لعلهم يصلحون له هذا الخطأ الذي يعد من الفضائح في هذا العصر وان لم نصرح بذلك في الانتقاد الاول بل نبهنا المؤلف الى حاجة علماء الدين لا سيما الذين يدعون الاجتهاد الى علم تقويم البلدان كما سيأتي . اعترف بالخطأ في هذه المسألة ولكنه تبرأ منه وألصقه بالمطبعة المسكينة فقال ما نصه وفيه عبرتان احداهما في العبارة والثانية في البراعة :

« وان ما جاء في الرسالة الثانية في بيان محل اقامة السائل على وجه ما ذكر خطأ لا يخفى على من يعلم الجغرافيا ومن لا يعلمها ولكنه خطأ مطبعي وقد جاري فيه المطبع بالطبع ما جاء في خطاب السائل حيث قال فيه ما لفظه (محل الحادثة ببلدة دراما برلاية سلانيك في رومالي الشرقي) » اه ثم ذكر ان مثل هذا الخطأ يقع كثيرا

أقول (اولا) قوله ان هذا الخطأ لا يخفى على من لا يعرف الجغرافيا غير صحيح والذي جرأه على كتابته وهو بديهي البطلان ارادته ايهام القارىء أن مثل هذه المسألة لا تخفى عليه والا يهام دأبه وعادته وقد روي عنه أنه أخطأ فيما هو أشد من هذه المسألة ظهورا — ذلك أنه كان ينظر في قضية بالمحكمة الشرعية قبل عزله بزمن وكان أحد الخصم فيها رجل من خانية فسأله الشيخ بخيت عن بلده فقال خانيه فسأله أين خانية قال في كريت سأله ألست من أهل كريت نفسها أجاب بلى فاشتبه على الشيخ بخيت كونه من أهل خانيه ومن أهل كريت معا وسأله في ذلك فأجابه ان كريت جزيرة وان عاصمتها مدينة تسمى خانية وهو منها قال الشيخ بخيت كلا ان عاصمة كريت هي مدينة كريت فقال الرجل انه ليس في جزيرة كريت بلدة تسمى كريت فلم يصدقه الشيخ بخيت وصدقه حسن بك صبري وكان

محاميا في القضية فلم يقبل الشيخ بخيت قوله وعده غير معقول وكأنه استنبط هذه المسألة بقياس مضمر على كريت اذ يطلق اسم مصر على القطر كله وعلى عاصمته. ولم يزل يجادل في ذلك حتى قال له أحد أعضاء المحكمة: ان حسن بك صبري يعد عالما اختصاصيا بعلم تقويم البلدان حتى ان المحكمة اذا أرادت تعيين خبير في مسألة تتعلق بالبلاد ومواقعها يمكنها أن تعتمد عليه فلم لا تصدقه. فقال الشيخ بخيت وأي شيء علم تقويم البلدان او الجغرافيا هذا علم الشحاذين!!

أوردنا القصة بالمعنى كما بلغتنا ولم يفهم الحاضرون مراده بقوله هذا علم الشحاذين لانهم يعلمون ان أوسع الناس علما بهذا العلم رجال السياسة من الملوك والوزراء وقواد الجيوش على انه لا يعلم الا في المدارس التي لا يدخل فيها الشحاذون ولعله يريد أن الفقراء السائحين المعروفين بالدراويش يعرفون ما يعرف أهل هذا العلم وبهذا يعد العلم مبتذلا لاخضاضة على الجاهل به كأنه يظن أن هذا العلم عبارة عن معرفة أسماء البلاد فقط وفاته أن أكثر علماء الازهر يجهلون جغرافية بلادهم نفسها الا من تعلمها في هذه السنين

— (ثانيا) قوله «وقد جارى فيه الطبع بالطبع» الخ من اللغو الذي لا يقبله طبع ولا عقل وما أوقعه فيه الا ابتغاء البلاغة بالجناس وتأمل قوله قبله «على وجه ما ذكره» فانه ليس له وجه وجيه

— (ثالثا) لا يعقل ان تكون العبارة في الاصل الذي أرسل الى المطبعة هكذا «المقيمين ببلدة درامة بولاية سلانيك في روملي الشرقي» فيجعلها طبع اهل الطبع خطأ منهم «المقيمين بالاناضول بالروملي الشرقي بولاية سلانيك العثمانية» فمن مثل هذا الابدال والقلب ليس من طبع أهل هذه الصناعة على ان الرسالة ما طبعت الا بعد عرضها على المؤلف وتصحيحها !!!

ثم قال الشيخ بخيت بعد ما تقدم «وبيان محل اقامة السائل لا يتوقف عليه شيء مما نحن بصدده فيستوي ذكره وعدمه ولذلك لم نهتم له حين ما تنبهنا اليه بعد الطبع» نقول نعم ان بيان حكم المسألة لا يتوقف على معرفة مكان من يسأل عنها ونحن لم نقل انه أخطأ في الجواب بما الخطأ في معرفة المكان كيف وقد غاب

على ظننا أنه لا سؤال ولا سائل اذ لا يمكن ان يوجد سائل مقيما في أمكنة مختلفة فما هذه المراوغات والمغالطات

ثم قال « واما دعواه انا ممن يذم علم الجغرافيا وينفر عنها فهي دعوى باطلة عاطلة » الى ان قال انا من شدة حسدنا له نخترع عليه الاباطيل . ونقول هل ينكر الشيخ بخيت انه هو الكاتب لما نشره المؤيد في أواخر سنة ١٣١٧ بامضاء (ثابت بن منصور) في ذم الجغرافية والتاريخ والحساب العملي وزعم أنها علوم تضعف العقل ؟ ان كان ينكر ذلك بعد اعترافه به لغير واحد من أهل الازهر وعلمه بأن صاحب المؤيد لم ينسه فحسبنا ما يسمعه هؤلاء من انكاره ، أم يقول ان هذه العلوم من الكمالات البشرية لغير أهل الازهر ومن النقائص لهم لانها تضعف عقولهم عن ادراك علوم الشرع ، أم كان ما كتبه مقاومة للاصلاح في الازهر في ذلك الوقت لامر ما ولهذا الوقت الذي لا يطالب فيه بالاصلاح هناك مطالب قول آخر ؟؟

أما ما أكثر القول فيه من اننا نحسده فجوابنا عنه اننا نراه أجدر بان يرحم منه بأن يحسد واننا ندعو الله ان لا يبتلينا بمثل علمه وتأليفه وأن يعافيه هو من الابتلاء بمثل ذلك في مستقبل حياته

ثم قال « وأغرب من دعواه ما ذكر دعواه ان الاجتهاد اليوم لا يتم الا بالجغرافيا على الاطلاق حتى فيما نحن بصدده وأمثاله مما لا يختص بكون السائل في مكان دون مكان ولكن الحسد يعمي ويصم والعياذ بالله تعالى » اه وأقول ان من له ذوق يدرك به مرامي أساليب الكلام لا يفهم من قولنا ان الجغرافيا « انتقمت منه لنفسها وعلمته ان الاجتهاد لا يتم اليوم بدونها » ما فهمه من ان العبارة من باب الحقيقة وان الاجتهاد فيها يشمل الاجتهاد الجزئي ولو فيما لا علاقة له بالبلاد والمواقع ، وانما فهم صاحب الذوق أنها من باب الكناية أو التعريض على ان الاجتهاد المطلق الذي يكون صاحبه اماما قادرا على استنباط الاحكام في كل موضوع يكون من تمامه الوقوف على هذا العلم لا سيما في هذا الزمان الذي صارت مسائل الحدود فيه بين الممالك من أهم المسائل وأحوجها الى التدقيق ويترتب عليها كثير من المسائل الفقهية في زمن الحرب والسلم . وقد بينا مسائل

أخرى تتوقف معرفة حكم الشرع فيها على علم تقويم البلدان فيما كتبناه في المؤيد والمنار من الرد على ما كتبه الشيخ نخيت وغيره من علماء الازهر في أواخر سنة ١٣٠٧ (راجع ص ٧٩ م ٣ من المنار)

ونكتفي بهذه الكلمات في هذه المسألة ولينتظر الرد على استنباطه جواز كون إمام المسلمين كافرا من الحديث المنكر وعلى ما قاله في تصحيحه فهو الذي يظهر غاية شطط الرجل في العلوم الدينية فيعلم هل هي مما يحسد عليها أو يستفاد منها و بالله التوفيق

﴿ رأي في اللغة العربية ﴾

قرأنا في الجزء السابع من المقتطف مقال (انتقاد قناة مصر) لجبرائيل افندي ضومط استاذ اللغة العربية والبلاغة في مدرسة الامريكان الكلية ببيروت ومؤلف الكتب المفيدة في النحو والبلاغة فرأينا ان ننقل منه رأيه في الانتقاد اللغوي ونبين رأينا فيه . قال

﴿ ثالثا الانتقاد اللغوي ﴾

« وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكيات المضحكات ولا أحاشي جلة من اكابر علمائنا وكتابنا معا . والغريب ان بعضهم ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الا ما نص عليه في كتب امهات اللغة فان لم ينص الصحاح او الفيروزبادي أو لسان العرب على اختار مثلا يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من أكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانه على سعة علمه لم يرقه استعمال بعضهم « اختار » مع معرفة ان قد استعملها قبله الامام ابن الفارض المشهور وبعض غيره من أكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمى برد المحتار على الدر المختار . وكنت أعجب من تضييق هاته الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونه في الاخذ بهذه المخطة التي أخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأ لغة

من أشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها له حتى في الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبه العلامة الفيلسوف الامام الغزالي في الرد على المشبهة والحشوية في كتابه إلجام العوام فترجح لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاموا عليه لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فأدى قياسهم هذا لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في ألفاظ اللغة حيث تمس الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منه عقلا او نقلا وبيان ذلك

« انه ورد في السنة ألفاظ في حق الباري سبحانه وتعالى توهم الجسمية كاليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما أخذها الحشوية دليلا على التجسيم واستغووا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدى الامام للرد عليهم واليك بعض كلامه قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغه حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليه فيه سبعة أمور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكف (٧) التسليم ثم فسر الامساك بما نصه بالحرف الواحد قال : وأما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتعريف والتبديل بلغة أخرى والزيادة فيه والنقصان منه والجمع والتفريق بل لا ينطق الا بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم أفاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابه وحري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليه فانه مما تتطاول اليه الاعناق وتطمح الى مثله الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي ان على طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى أهل هذه الفئة التي أشرنا اليها فسموا الامساك في كل ألفاظ اللغة مع ان الامام خصه ببعض ألفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم و بذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محظور من استعماله فابطلوا القياس بالقياس فبالفراية

في الفهم والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضا من أهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الا انهم يتأبون كل التأبي قاسته العامة أو استعملته على سبيل الكناية أو المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخف على هؤلاء . وربما استعملوا بدلا من ذلك اللفظ لفظا آخر هو في الاصل قياس أو مجاز من ذلك فاخبره في مسألة كذا أو تخابروا فانهم لا يسوغون استعمال هذه اللفظة و يعدلون عنها الى نابأ في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبإ والاولى من الخبر . والخبر والنبأ بمعنى واحد الا أن الخبر أعرف وأعم وأشهر . وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون أنها كتظاهروا من الظهر على حين ان وضع الكتف للكتف في التعاون أقرب للفهم لانه أكثر مشاهدة من وضع الظهر للظهر . و بعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الا لأن العامة تستعمله بالمعنى الذي يراد استعماله أو وضعه له . و بعضهم يشدد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعمله العامة مع أنها (كعاقلة الرجل) من عال عياله كفاهم معاشهم ومأنهم أو من عال الشيء فلانا أهمه وعاداها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم أو الذين يهمونه ولا أوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج . والخارج . والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جر اليه ما استهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسمية على ما ألمعنا اليه . فيالله متى نعدل عن هذا التحرج الذي يقضي العقل والنقل بتركه

« ولا يسعني المقام الآن ان أخوض في هذا البحث الى نهايته وربما عدت اليه في آخر اذا فسح لي المقتطف الاغر مجالا بين صفحاته ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٣١ آخر الوجه — ولكن الرجل الفني المطبوع فيه يتمانشه الناس من كل جهة — فان كان مبدأ الفئة التي أشرنا اليها صحيحا كانت لفظة — يتمانشه — فيها شيء من العامية وعندي ان هذه العامية هي في منتهى الفصاحة وباليت الكاتب جاء في روايته بمئات من أمثال هذه اللفظة

فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيب حتى عن العامة اهـ

(المنار) إن علماء العربية قد بينوا ما هو قياسي في اللغة كالتثنية والجمع الصحيح وما هو غير قياسي وهو ما يعبرون عنه بالسماعي ووضعوا لذلك القواعد والضوابط ومنها أن أبنية الأفعال سماعية لا يصح ان نأتي من كل مادة بكل بناء وان سمع مثله من مادة أخرى فذاعلما أنهم استعملوا من مادة الحيرة حار وحير وتحير واستحار فقط اكتفينا بها ولم نزد عليها أحار احارة وحار محابرة واختار اختيارا وتخير تخيرا وحير حيرة وتحيير تحييرا الخ وعلى هذا درج العلماء والكتاب ومضت سنتهم في انتقاد من خالف هذه القواعد فجاء بشيء غير مسموع وهو مما لا يصح فيه القياس وإذعان المخالف للانتقاد الا أن يكون في المسألة خلاف في كونها مقيسة أو غير مقيسة فيذهب كل إلى مذهب حتى قام في هذا الزمان أناس يرون أنه يجب أن يتصرف كل كاتب في اللغة كما يشاء ويختار فيدخل فيها من العامي والمخترع والدخيل ما يستحسنه بلا قيد ولا شرط الا مراعاة أفهام القارئين . ولو جرى الناس على هذا الرأي في جميع الاقطار العربية لاصبحنا بعد زمن غير طويل والمصري لا يفهم كتاب العراقي ، والمجازي لا يفهم كتاب المراكشي ، بل لصارت اللغة غير العربية المدونة في الكتب ولاحتجنا الى معجمات جديدة والى نحو وصرف وبيان أيضاً لكل قطر

رأيت المتعصبين لهذا الرأي ثلاثة أصناف — الاول قوم قليلو البضاعة في هذه اللغة وفنونها وقد نصبوا انفسهم للكتابة والتأليف وهم كثيرون (ولو شاء لأرينا كم فلان فقههم بسماعهم ، وتعرفنهم في لحن القول) والثاني أناس يودون افساد العربية وهم قليلون والثالث أفراد متساهلون في أمر الالفاظ لتعظيم شأن المعاني وهم على سعة في العلم وقوة في الفهم وجبر أفندي ضومط من هذا الصنف ولذلك يوجد في كتابته من الاغلاط اللفظية ما لا تجد مثله في كلام من لا يدانيه في فنون العربية ،

يوجد في مقابلة أصحاب هذا الرأي قوم جامدون على النقل كما قال جبر افندي حتى ضيقوا ابواب المجاز والنقل والقياس ولكني لا أظن أنه يوجد في المشتغلين

بالعربية من يقول في اللغة كلها بمثل ما قال الامام الغزالي في صفات الباري سبحانه وتعالى مثل ذلك ان ما جاء من هذه الكلمات المتشابهات مفردا مثلا يمتنع تثنيته وجمعه كلفظ عين فقد ورد «ولتصنع على عيني» ولكن لا يجوز ان يقال ان الله تعالى عينين الا اذا ثبت ذلك بنص من الشارع فهل يعرف المنتقد احدا ممن يصفهم بالجمود يقول لا يجوز تثنية شيء من ألفاظ العربية ولا جمعه الا بنقل عن العرب ؟ اني أجزم جزما بأن رأي الغزالي وغيره في هذه المسألة لا دخل له في هذه المسألة قط

وهناك قوم آخرون وسط بين هؤلاء وأولئك يقولون ان باب القياس في أصل العربية أوسع منه في عرف واضعي الفنون لا سيما البصريين منهم وانه ينبغي لنا ان نسلك في اللغة مسلك أهلها في الاشتقاق عن الجوامد والتعريب والتجوز وغير ذلك ولكن يجب ان لا نجدد فيها الا ما نحتاج اليه ولا نجدد في كتبها والا كانت الزيادة تكثرا يثقل علينا احتماله بغير فائدة أو من قبيل تحصيل الحاصل الذي لا يرضى به عاقل فكلمة احتار مثلا لا حاجة اليها لانه ورد بمعناها حار وتحير وكاتب هذه السطور يرى هذا الرأي ولكنه لا يطلق العنان فيه للافراد لما يترتب على ذلك من الفساد الذي أشرنا اليه في فاتحة الكلام بل يحتم أن يكون برأي جمعية من العلماء يبحثون في ذلك ويجعلون له نظاما وينشرون ما يرونه صوابا في الصحف ليعم الاستعمال ، ويؤمن الاختلال ، ولا يجوز الخروج عن شيء من النظام الحاضر في مملكة اللغة الا بعد اجتماع أهل العلم والرأي ووضعهم لها نظاما جديدا بعد المشاورة والمذاكرة خلا ما يضطر اليه الكاتب أحيانا من الحاجة الى كلمة وقلما يقع ذلك مني عن عمد ومن هذا القليل استعمالي لفظ (تطور) بمعنى الانتقال من طور الى طور وقد فسرتها في عنوان المقالة (تطور الامم وانتقالها من حال الى حال)

ومن الغريب ان جبر أفندي أقام النكير أيضا على من ينتقدون الخطأ النحوي في الكلام ورماهم بأشنع الجهل فبالغ في ذمهم بأشد من مبالغة بعضهم في تبجحه بذلك . وسنذكر في الجزء الآتي شيئا مما خالف فيه القياس لتساهله

﴿ حال المسلمين في تونس والاصلاح ﴾

لعالم مدرس بجامع الزيتونة

الحمد لله . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

أخيك أيها المصلح المخلص الناصح الغيور منشئ مجلة المنار الغراء الاستاذ السيد محمد رشيد رضا دام عزه ، وبوأ من الحفظ حرزه ، تحية تعرب عما في الضمير من الشوق الى سدتك العليا ، وحضرتك الشما ، ومقامك الاسنى ، ممن قدرك حق قدرك ، وادرك فيما تؤمله من الاصلاح حقيقة امرك ، فاهتدى بمنارك الى سواء السبيل ، رغما عما يلاقيه أولئك المهتدون من قوم لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق الا من رحم ربي من أساتذة خدموا الامة والدين وعملوا في الدعاية الى ذلك ما يلاقيه المصلحون ، من هيج ورماع مع كل ريح يميلون ، ضلوا وأضلوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ولكن — والمنة لله — لم يثبط ذلك عزائمهم فباوهنوا لما أصابهم من النكبات ، ولا وقفوا لما اعترض سعيهم من العقبات ، ممن حسبهم المحافظة على صور العبادات ، والتشبث بأهداب العادات ، والتمسك بما قاله الاقدمون ولو قبيحا ، وتزييف ما قاله المتأخرون ولو صحيحا ، يزعمون ان ذلك هو الدين ، وتجاوزحده اتباع لغير سبيل المؤمنين

ولولا ان من الله على الامة التونسية بزعيمها الفاضل العالم المصلح الاستاذ . . . لم تبرح في أدوية الضلال تهيم حتى تخرجت من جامعنا (الزيتونة) نشأة هذب الاستاذ ابقاه الله اخلاقها وأطلق أفكارها من قيود التقليد فأصبحت مجبورة الاركان تركض في ميادين الحرية واني لمقصر في أداء مايجب من شكره على ما أسداه الى امتنا عموما والى الحقير خصوصا من نعم تضيق المهارق عن استقصائها ، ويكل اليراع اذا كف باحصائها ، وحسبي ما أثقل به عاتقي من منة التعريف بذلك الاستاذ الامام قدس الله روحه قلت والحمد لله من قوم زعموا ان ذلك الفاضل قد ضل ضلالا مبينا . بل أقول « والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » ولكن من لم يكن بمرتبتك من العقل ، لم

بذق مذاقك من الفضل ، ولعمر الله ان من سرح بصره فيما نشرته مجلتك الغراء في ترجمة هذا الفقيد لعلم مصيبة رزئه على الدين وما هو باول هدى لمنارك الذي يهدي الله لنوره من يشاء . . . لا برح منارك يبعث من أشعته ما يهتدي به الساري فيدأب القالي أن يطفيء منها ما يغيظه من مساعيك المشكورة ، وبأبى الله الا أن يتم نوره ، اه

(المنار) نشرنا هذه الرسالة لما فيها من الفائدة التاريخية في رأي المسلمين بتونس وحالهم بالنسبة الى دعوة الاصلاح وامامها المرحوم وحرية الفكر ورغبة في الصلة العلمية الاصلاحية بيننا وبين ناشيء جديد في العلم يرجى خيره ونشكر لهذا النبه الفاضل حسن ظنه بنا . ومن العجب انه قد عهد الينا بأن نكتم اسمه دون اسم استاذه المصلح الذي أرشده الى الحقيقة ، وأقامه على الطريقة ، ولا ندري أنسي ام هو يعلم ان استاذه قوي العزيمة ، شديد الشكيمة ، لا يروعه جهل الجاهلين ، ولا يبالي عذل العاذلين ، ولكننا رجحنا الاول احتياطا ونسأل الله التوفيق والنصر لهذا الحزب المصلح في تونس بمنه وكرمه

حال المسلمين في حضرموت والاصلاح

رسالة أرسلها الادیب صاحب الامضاء من حضرموت الى السيد حسن بن شهاب في سنغافوره (بعد اطلاعه على رسالة له أرسلها الى حضرموت يدعو بها الى الخير) فرأينا ان ننشرها لما فيها من الدلالة على حالة البلاد العلمية والادبية وهي :

كتابي الى حضرة الماجد الفاضل السيد حسن بن علوي بن شهاب أسعد الله أيامه ، ورفع على هام السماك اقدامه ، والروح الى وسيم طلعته شيقه ، والعبرة لما منيت به من البين مترقرقة ، والقلب مطبوع على الود له وامقة ، وقد اكتظ بالاشتياق ، وقام فيه نبت الحب على ساق ، ولم ازل اكاتمه وانا منه في عناء حتى احتج عليّ بقول أبي الطيب * وألذ شكوى عاشق ما قتلنا * وبقول الآخر * فصرح بمن هوى ودعني من الكنى * فحينئذ فضضت ختمه ، ورفضت كمه . وبعثت هذه البطاقة منهية لكم ما لدي من الشوق المبرح ، والبين المطوّح ، فاني اذا تصورت مجالسكم

الفائقة ، وتخيلت منادماتكم الرائقة ، المستخفي الطرب ، وهزتني اريحية الادب ، ولولا ان جناحي كسير ، لأوشكت ان أطير ، لاقضي حق قرابته التي لاتجحد ، ولله در حبيب بن أوس حيث أنشد

ان يفترق نسب يؤلف بيننا　　أدب أقمناه مقام الوالد

وأيده الآخر بقوله

وقرابة الادباء يقصر دونها　　عند الكريم قرابة الارحام

ومما يزيدني كلفا ، ويحشو حشاي شغفا ، عدم أنيس أتسلى به ، وانتزه بلمحه وأدبه ، لاأجد الا من يسخن العين منظره ، ويكلم القلب مخبره ، ويتعب الروح مقامه ، ويدك السمع كلامه ، أما هؤلاء حولي بكل مكان منهم خلف فخطل ، اذا جئت في استفهامهم عن ، وعلى كل حال فالحر حيثما كان مصاب بليته ، كالمصحف في حانة خمار أو بيت بغيه ، ثم اني رأيت منكم كتابا لبعض مكاتبيكم أثنيتم فيه على الايام ، وشكوتم مقامكم هناك وعسى ان يكون من قبيل قول أبي تمام ،

واذا تأملت البلاد رأيتها　　تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

وقد وقفت على رسالتك التي رقمتها ، وبوشي البديع نمنمتها ، فوجدتها بارعة المبنى ، رائعة المعنى ،

اذا سمع الناس ألفاظها　　خافن لها في القلوب الحسد

غانية غنية عن الاطراء والمدح ، معرضة عما يرميها به الناقصون من القدح ، ولا بد للحسناء من ذام ، وانما ينشأ ذم المسك من الزكام

وكم من عائب قولا صحيحا　　وآفته من الفهم السقيم

ولقد نثلت الكنانة ، ونفضت الجعبة ، ولكن شكوت الى غير ماجدة ، وجلبت بضاعة كاسدة ، وجلوت الحسناء لعنين ، وقد ذم الله قوما « قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين » فما بالك بقوم زادتهم العظة نفورا ، ومنتهم أنفسهم غرورا ، فلو دعوتهم ليلا ونهارا ، لم يزدهم دعاؤك الا فرارا ، نعم لو غبرك قالها من الذين نصبوا باظهار التنسك فخاخ الكيد ، وتمارجوا لشنشنة عرفوها عن أبي زيد ، لعذرت ظاهرا بطائل من القول ، ولكن ماشأن أولئك الا الاحالة

على الاماني الخادعة ، والمحرقة بالقصص والاباطيل الكاذبة، وقد استنمر بأرضنا بناؤهم ، وكثر لافتراسهم تراثهم ، فالله للناس من خداعهم ومكرهم ، فقد ضاق الخزام عن الطيبين .

اما ماطلبته من نشر الدعوة المطابق لحقيقة حكم الشرع فدونه خرط القتاد ، كيف وقد أدرجوه في لفائف الاغراض ، وبرقعوا محياه بنقاب المداهنة، وجعلوه ذريعة لاستجلاب الأبيض والاحمر ، هيهات هيهات لذلك أعز من مخ البعوض فلا تبيعّ صوتك بنداء الجماد ، ولا تضع نفثك في رماد ، فانما شئت خلبا ، ورأيت سرابا ، واستطرت جهاما ، فارجع البصر ، لاتفز لك الشيات والصور ، انما كل من ترى بحر ، ودونك فالتمس لنفسك أناسا غيرهم ، اما هم فما أمهروا نفوسهم الا بالاعراض ، ولا قرضوها الا بلساني المقراض ، وبالجملة فالمعروف بينهم زمن ، ومنكرهم بان يمشل له بيت الحي فراغة ، وفي وقت اغلاق ان يدفن في الرمس ، ويتوارى في الطمس ، ويصير كأن لم يغن بالأمس ، غير اني لا اقنط من رحمة الله ولا أيأس ، وأرجو من الدهر ان يبتسم ويتقمص ،

فلا تيأسن من بعد الرجوع استقامة ... وللبدر من بعد المغيب طلوع

ومنذ أيام أنشأت رسالة في تزييف ماشاع عندنا من تعظيم يوم عاشوراء واظهار السرور فيه ، وقراءة أحاديث وحكايات في فضله لا يقبلها الا سفيه ، وهي واصلتكم في طي هذا . فانظروها بعين الرضا الكاملة ، وما وجدتم من خطأ فاجعلوا العتب عليه ، واعرضوها على السيد الجليل ، الشهم النبيل ، محمد بن عقيل ، وان رأيتم حذف شيء منها أو زيادة فلكم الرأي الأعلى والمأمول منكم طبعها ليحصل الانزجار بها أو ارسالها للاستاذ الحكيم منشئ مجلة المنار لنشرها في مجلته وقد ارتضاها من رآها وما لسائل سجعا الا قوله (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) تلك كلمة هو قائلها ، جاعلا بانه يفضي الى الملائكة ما حملها ، ودمتم والسلام ؟

عبد الرحمن بن عبيد الله
بن محسن السقاف

﴿ رسائل سنغافوره ﴾

وردت لنا عدة رسائل من سنغافوره تدل على ان بين العرب الكرام المقيمين هناك تنازعا وتخاصما وتباغضا وتحاسدا تألم له النفس و يضيق منه الصدر فان أولئك الكرام أجدر الناس بالوفاق والوئام ، كما يليق بهدي دينهم وطيب عنصرهم

﴿ رسالة احد أعضاء الجمعية الخيرية ﴾

فمن هذه الرسائل ما كتبه الينا أحد أعضاء الجمعية الخيرية هناك وكتب بمثله الى المؤيد فنشره المؤيد غير مستحسن لهذا الخلاف واعظا أهله وعظا اجماليا نافعا لمن تدبره فرمى عن قوس عقيدتنا في ذلك ينكر الكاتب على السيد حسن بن شهاب ما كتبه في المؤيد يفوق به سهام اللوم على مسلمي سنغافوره وعربها الكرام لتقصيرهم في تعليم أولادهم وغير ذلك مما يرقيهم و يرفع شأنهم ويرد عليه وعلى كاتب آخر كتب مثل ما كتب بامضاء (حزبن) بقوله «ان مسلمي سنغافوره عموما وعربها خصوصا اشتهروا اشتهار الشمس في الرابعة بالمحافظة على الشرف والدين والسير على نهج الآداب وتعليم أولادهم لا كما زعم ذوو الاغراض في تينك المقالتين» ثم أبدى كلامه بأن الجمعية الخيرية لم تزل منذ تأسيسها (٦ شعبان سنة ١٣١٤) « توالي جلساتها باهتمام فائق فيما يعود نفعه و يجب القيام به في مصالح المسلمين» وذكر من ذلك انها كانت عزمت على انشاء مدرسة لتعليم كلام الله وعلم الكتاب والحساب ولكن السيد محمد السقاف قام بذلك (جزاه الله خيرا) — وانها تحتفل باستقبال الوافدين الى سنغافوره من أمراء المسلمين وقناصل الدولة العلية — وانها لم تزل قائمة بالاصلاح بين المسلمين وحل ما يشكل من اختلافهم والسعي في ائتلافهم — وانها أنشأت جمعية أخرى تحت مراقبتها سميت (جمعية مصالح المسلمين) وطلبت من الحكومة دفن وتجهيز من يموت من فقراء المسلمين في السجون والمستشفيات — وانها تدبر الرأي الآن في القيام بترميم الجوامع التي تحتاج الى الاصلاح و بفتح مدرسة كبيرة

هذا ما ذكر الكاتب من أعمال الجمعية الخيرية ثم ذكر انها في آخر جلسة لها قررت فصل السيد حسن بن علوي شهاب والسيد محمد بن عقيل من أعضائها لان

الاول نشر كلاما عن السيد عبد الله بن عبد الرحمن العطاس لاظل له من الحقيقة والثاني نقل كلاما في تخطئة الجمعية . فهذا ملخص الرسالة

نشكر للجمعية كل ما ذكر من أعمالها وندعو الله ان يوفقها لخير مما عملت ونقول لاعضائها الكرام بلسان الاخلاص ان خير هذه الاعمال التي ذكرت هو اصلاح ذات البين ولكن كيف كنتم ولا تزالون تصلحون بين الناس وقد عجزتم عن اصلاح ذات بينكم أليس السيدان اللذان قررتم فصلهما من الجمعية هما من خياركم ومن المعروفين في جميع اقطار الاسلام بالغيرة والفضل . ألم يكن خلاف أحدهما مع السيد العطاس مما يجب تلافيه بالاصلاح بينهما ؟ أيجوز ان يهجرهما سائر أعضاء الجمعية لانتقادهما على مسلمي سنغافوره تقصيرهم فيما يرقيهم وعلى الجمعية نفسها تقصيرها فيما يجب ؟ أليس كلامهما حقا ؟ أيعد الاحتفال بأمراء المسلمين وأمثاله ترقية للمسلمين في هذا العصر . أيكفي ذلك الكتاب الذي أنشأه السيد محمد السقاف (جزاه الله خيرا) لترقية أبناء المسلمين وهو لا يعلم فيه غير ألفاظ القرآن الكريم والحساب والخط ؟ أين التفسير والحديث والتوحيد والفقه والاصول ؟ أين وسائل هذه العلوم من فنون العربية ؟ اين تاريخ الاسلام والتاريخ العمومي الذي يثير العقل ؟ أين العلوم العصرية التي هي اساس الثروة والعزة في هذا العصر ؟ لعل اعضاء الجمعية الكرام يصلحون ذات بينهم و يعودون الى الاعتصام والتعاون على المصلحة العامة والسلام

عدة رسائل في تزوج الهندي بالشريفة

وردت لنا عدة رسائل في هذه الواقعة التي سبق لنا القول فيها فرأينا ها يناقض بعضها بعضا وعلمنا منها ان الناس فيها فريقان كل يؤيد رأيه و يفند رأي الآخر عن اعتقاد أو تحيز فان نشرنا هذه الرسائل كلها ولا فائدة في شيء منها كنا ظالمين لقراء المنار . فان قال قائل إنك أفتيت في المسألة ثم نشرت بعض الرسائل فيها فيجب نشر الباقي او النظر فيه والمقابلة بينها و بيان مايظهر بعد ذلك انه الحق نقول ان الفتوى كانت على حسب السؤال على لاحسب الواقع الذي لم نطلع

عليه . ونكتفي بأن نقول لقراء المنار هناك اننا لا نرجح قول أحد في هذه المسألة فليكن ما نشر في السؤال وغيره كأن لم يكن

رسالة ذي اذن واعية

ملخص هذه الرسالة ان شيخا معما عقمت المنار لان تليه يقلل من كبه وأكله بدينه جهم زمنة لمقاومة محبيه وقرائه وتكلم فيهم بالباطل ثم حقد اجمالا ودعا اليه بعض تلاميذه المعجبين للمنار وبعد ان أسمعهم من الطعن ما ظن انه أفظعه بهم قام عالمهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ان كنتم تعجبون شأن المؤمنين فقد قال رب العالمين (انما كان قول المؤمنين) الآية وقال (فلا وربك لا يؤمنون) الآية فهلموا الى حكم الله . وان كنتم تريدون غير ذلك فانها كم الانكليزية مفتوحة الابواب واعفونا من السباب . فبهتوا وعلموا انهم عاجزون عن حزب الطعن من جهة الشرع والقانون جميعا . هذا ملخص الرسالة وانما لم ننشرها بنصها لان كاتبها خالف طريقة حزبنا فطعن بهؤلاء المعرضين وذمهم ونحن ندعو الله تعالى ان يلهمنا وإياهم الادب والصواب ويحسن لنا ولهم المرجع والمآب

مجلد المكتوب السادس — التربية الدينية والفلسفية (*)

من أرسطو الى أميل

قد عزمت يا ولدي مقاصدي في تربيتك الدينية فاني أردت ان أخلي بينك وبين عقائدك مع علمي بمخالفتي في هذا مخالفة تامة لما تجري عليه الامور عادة ذلك ان العاقل لا يكاد يولد حتى يذهب الى أحد المذاهب التي تتنازع حكومة الدنيا فيتكفل واضعوه بتقليدنا محتجين فيه بعدم أهليته (وهو أمر بين الباحة) لان يحكم نفسه ويسوق عرقه بلا دليل وعوائد قومه وتقاليدهم الى تحديد الدين

(*) تابع ترجمة كتاب أميل الجزء التاسع عشر (راجع فهرس م ٨)